منهج الإمام أبي الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي (٧٢٣هـ) في كتابه «تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء»

الباحث/ محمود فتحي عبد المجيد

الملخص:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد وتكفل ببيانه وتفصيله فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[١]. وقال سبحانه: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[٢]. فمن القرآن ما جاء بيانه في القرآن نفسه إذ القرآن يفسر بعضه بعضا فما جاء موجزا في موضع بسط في موضع آخر وما جاء مجملا في موضع فصل في موضع آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر" انتهى[٣].

فالقرآن أول مصدر لبيان تفسيره؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ ولهذا يقول ابن القيم: "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"[٤].

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٣٩.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص١٨٧.

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. وبعد:

فإن العناية بالقرآن الكريم على مر العصور والأزمان لم تنتهي أبدًا، وهذا من حفظ الله تعالى لكتابه الكريم، والقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يُمَلُ من تَردَادِه، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو أشرف الكلام على الإطلاق.

وقد اهتم العلماء ببيان مشكله وإيضاح معانيه وتفسير آياته، ومن بين كتب التفسير كتاب: «تفسير الفقهاء وتكذيب الفقهاء»، للقاضي أبو الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغزنوي الحنفي، الفقيه، المفسر، الذي جمع بين العلوم، وتفسير متوسط الحجم، كثير العلم، غزير الفائدة، فمؤلِّفه يعتني فيه ببيان معاني الآيات إجمالاً، مع ذكر أسباب نزولها.

ونتناول في هذا البحث منهج القاضي أبو الفتح الغزنوي في تأليفه.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

تتلخص أهمية اختيار الموضوع وأسباب اختياره في الأمور التالية:

١- المكانة الكبيرة التي حازها الإمام القاضي أبو الفتح الغزنوي رحمه الله تعالى.

٢- القيمة العلمية لتفسير «تفسير الفقهاء وتكذيب الفقهاء»، حيث ضمَّ علوما شتى، ومعارفَ متنوعة، وفوائدَ عزيزة.

٣- الوقوف على بيان منهج المؤلف في تأليف لا شك أنه يساعد على فهم كثير من المعاني، ويوضح كثيرًا من الأمور.

خطة البحث:

اشتملت الدراسة على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن، ومدى اهتمامه بالقراءات

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

المبحث الرابع: موقفه من الإسرائيليات.

الخاتمة.

المراجع والمصادر.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن، ومدى اهتمامه بالقراءات

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد وتكفل ببيانه وتفصيله فقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[2]. فمن القرآن ما جاء بيانه في القرآن نفسه إذ القرآن يفسر بعضه بعضا فما جاء موجزا في موضع بسط في موضع آخر وما جاء مجملا في موضع فصل في موضع آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر" انتهى[3].

فالقرآن أول مصدر لبيان تفسيره؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ ولهذا يقول ابن القيم: "وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير"[4].

ومن الأمثلة على تفسير النبي القرآن بالقرآن ما جاء في صحيح البخاري:

"لما نزلت: ﴿الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُم بِظُلْمٍ﴾[5]، شَقَّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أيّنا لم يظلم نفسه؟ قال: (ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَا بُنَيِّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[6])[7].

قال الزركشي: "فحمل النبي ﷺ الظلم ههنا على الشرك لمقابلته بالإيمان واستأنس عليه بقول لقمان"[8].

والمطالع للتفسير الذي بين أيدينا يجد أن الشيخ رحمه الله قد أعمل هذا النوع من التفسير، وكان محل اهتمام لدى الشيخ رحمه الله؛ حيث كان يستدل بآيات القرآن الكريم على نفسير معاني الآيات، ويربط بعضها ببعض، ومن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[9]، قال: «ويجوز أن يكون إقامة الصلاة من تقويم الشيء وتحقيقه؛ ومنه قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٣٩.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص١٨٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٧) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، ٢٥٤٢/٦، رقم (٦٥٣٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، ١٨٥/٢.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٣.

بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[1]، يقال: قام بالأمر وأقامه؛ إذا جاء به معطيًا حقوقه، ويجوز أن يكون معنى إقامتها: أداؤها على ما فيها من قيام وغيره، فعبر عنها بالقيام؛ لأن القيام من فروضها، وإن كانت تشتمل على فروض غيره؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، وأراد به الصلاة التي فيها القراءة، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[3]؛ أراد به القراءة في صلاة الفجر، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[4]؛ فذكر ركنا من أركانها الذي من فروضها، وإقامة الصلاة: قيام القوم لها، يقال: ليل قائم: أي يقام فيه، وار صائم: أي يصام فيه.

ومن الأمثلة أيضًا: ما جاء في تفسير القرآن بالقرآن عند الشيخ رحمه الله؛ حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[5]، قال: "والعهد: ما أخذه الله تعالى على النبيين – صلوات الله عليهم – ومن اتبعهم؛ أن لا يكفروا بالنبي ﷺ وبينوا نعته وصفته؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[6]، وقيل: أراد به العهد الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم[7]؛ حين قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[8]، وقيل: عهد الله تعالى

(1) سورة الرحمن من الآية: ٩.
(2) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(3) سورة الإسراء الآية: ٧٨.
(4) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(5) سورة البقرة، الآية: ٢٧.
(6) سورة آل عمران، الآية: ٨١.
(7) انظر: تفسير الطبرى، جامع البيان ١٨٢/١، وتفسير السمرقندى، بحر العلوم ٦٤/١.
(8) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

هو الاستدلال على توحيده، فإن كلّ ذي تمييز إذا تفكر في نفسه؛ علم أن الله تعالى خالقه، فكان عليه الإيمان، فإذا امتنع من الاستدلال بالعقل فكأنه نقض العهد"[١].

أما اهتمامه بذكر القراءات القرآنية وتوجيهها، فإن هذا النوع أيضًا من التفسير لا يقل بحال عن تفسير القرآن بالآيات القرآنية؛ إذ أن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أنَّ القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعضٍ، على نمطٍ واحدٍ في علو الأسلوب والتعبير، وهدفٍ واحدٍ من سموٍّ الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف[٢].

وللقراءات القرآنية أثر بالغ في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها؛ ولهذا اعتنى الشيخ الغزنوي رحمه الله – في الغالب – بذكر القراءات القرآنية؛ بل ويذكر المعاني المختلفة لهذه القراءات.

ومن ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٣]، قال رحمه الله: «وأما السراط بالسين والزاي في القراءة؛ لقرب مخرج بعض هذه الحروف من بعض ».

وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٤]، قال: "ومن قرأ (فتلقى آدم)، بنصب آدم، ورفع كلمات[٥]، جعل الفعل للكلمات، والتلقي: هو الاستقبال، وكل من تلقاك فقد تلقيته، ومن تلقيته فقد تلقاك"[٦].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١٠٦/١، وتفسير ابن عطية ١١٣/١.
(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٤٢/١.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٥) وهي قراءة ابن كثير المكي، وباقي القراء العشرة يقرؤن برفع (آدمُ)، ونصب (كلمات). ينظر: التيسير في القراءات السبع ٧٣/١، وإبراز المعاني ٣٢٣/١.
(٦) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ٧٥/١، ومعاني القراءات، ص٤٩.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة

السنة النبوية هي المصدر الثاني لتفسير القرآن الكريم، والطريق الثاني الذي يُرجع إليه بعد القرآن الكريم نفسه، يقول الإمام السيوطي: "من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه.. فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"(١).

روى سعيد بن منصور عن مكحول قال: (القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن)(٢).

ومثال تفسير القرآن بالسنة: ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾(٣).

روى الطبري عن ابن عباس أنه قال: "ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدركه ذلك لامحالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)(٤)"(٥).

وقد كانت السنة النبوية حاضرة في تفسير الإمام الغزنوي، فقد اهتم أيضًا بذكر الأحاديث النبوية التي تزيد المعنى إيضاحًا إن وجد ذلك في السنة.

ومن ذلك ما ذكره في تفسيره لسورة الفاتحة، في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٦)، قال: «وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: خطّ لي رسول الله ﷺ خطا، وبجنبه خطوطًا، وقال: « إن هذا الصراط المستقيم، وإن هذه السبل، وعلى رأس كلّ طريق شيطان يدعو ويقول: هلم إلى الطّريق»(٧)، ونزل بهذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٨).

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٢٠٠/٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٩/١.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، ٢٠٤٦/٤، رقم (٢٦٥٧).

(٥) تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٥٣٤/٢٢.

(٦) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٧) أخرجه (بنحوه) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده، مؤسسة قرطبة / مصر، ٤٣٥/١، رقم (٤١٤٢)، وقال علي بن أبي بكر الهيثمي: « رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بندلة؛ وهو ثقة وفيه ضعف»، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٤٠٧هـ – دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي / القاهرة – بيروت، ٢٢/٧. وينظر: مسند البزار (البحر الزخار)؛ لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ط١ /١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم / بيروت، المدينة، ١١٣/٥، رقم (١٦٩٤)، وأخرج (نحوه) أحمد بن شعيب النسائي في سننه الكبرى، ط١ /١٤١١هـ – ١٩٩١م، دار الكتب العلمية / بيروت، ٣٤٣/٦، رقم (١١١٧٤).

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

إلا أنّ الإمام الغزنوي رحمه الله يذكر الأحاديث في تفسيره مرفوعةً إلى النبي ﷺ بغير إسناد، وفي بعض المواضع ينسبها إلى النبي ﷺ؛ ثم بعد التخريج والتحقيق يتبين أنه ليس بحديث؛ إنما هو أثر موقوف؛ مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، قال: «روي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الكلمات نزل بها جبريل عليه السلام إلى آدم عليه السلام وهي: سبحانك لا إله إلا أنت وبحمدك عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت خير الراحمين، سبحانك لا إله إلا أنت وبحمدك عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، سبحانك لا إله إلا أنت وبحمدك عملت سوءًا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم » وهو رواية ابن عباس، رضي الله عنهما»، فبعد التحقيق تبين أنه موقوف عن ابن عباس(رضي الله عنهما) وليس بحديث مرفوع إلى النبي ﷺ [2].

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة

الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالقرآن بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد علمهم النبي ﷺ وأدّبهم وزكّاهم، وشهدوا من وقائع التنزيل وعرفوا من أحوال النبي ﷺ ودعوته وجهاده وشؤونه العامة والخاصة ما تقدّموا به على غيرهم في العلم بالقرآن.

وكان لكثرة اجتماعهم بالنبي ﷺ، وصلاتهم معه خمس مرات في اليوم، واستماعهم لخطبه ووصاياه، وحضورهم لمجالسه؛ وتلقّيهم القرآن منه، وتمكّنهم من سؤاله عمّا يحتاجون إليه؛ وتنوّع معاملاتهم معه، كلّ ذلك كان له أثر عظيم النفع في معرفتهم لمعاني ما يتلوه عليهم من القرآن.

يقول الإمام ابن القيم: "لا ريب أن أقوال الصحابة في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع، قال أبو عبد الله الحاكم في مستدركه: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع، ومراده أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولا فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله ﷺ، أو قال رسول الله ﷺ، وله وجه آخر.

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: باب في معالجة كل ذنب بالتوبة: رقم (٧١٧٣)، عن أنس رضي الله عنه، وقال البيهقي: «ذكر أنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ولكن شكّ فيه». ونقل السيوطي في الدر المنثور: ١٤٥/١ أنه أخرجه ابن عساكر عن أنس أيضا.

وهو أن يكون في حكم المرفوع بمعنى أن رسول الله ﷺ بين لهم معاني القرآن وفسره لهم كما وصفه تعالى بقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فبين لهم القرآن بيانا شافيا كافيا، وكان إذا أشكل على أحد منهم معنى سأله عنه فأوضحه له"[2].

وقد اهتم الشيخ "رحمه الله" بتفسير الصحابة، فكان كثيرًا ما يورد تفاسيرهم في الآية مكتفيًا بها حينًا، ومستفيدًا من فهمهم وتفسيراتهم حينًا آخر، وخصوصًا من اشتهر منهم بطول باعه، وتضلعه من علم التفسير كحَبْر الأمة ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين.

ومن الأمثلة ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[3]، قال: « روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه –: أنهم لم يلدوا بعد ما مسخوا، قال: وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل ولا ذرية«.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4]، قال: «وعن علي – رضي الله عنه–: أنها كانت شجرة الكَرم، وهي رواية أخرى عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

المبحث الرابع: موقفه من الإسرائيليات

الإسرائيليات: نسبة إلى بني إسرائيل، وهم اليهود الذين سمّاهم الله تعالى في القرآن الكريم (بني إسرائيل)، وهم اليهود، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[5].

و(إسرائيل) هو أبيهم الذي ينسبون إليه، وهو يُطلق على يعقوب عليه السلام. وفي قاموس الكتاب القاموس: "إسرائيل لقب يعقوب، وهي تفيد معنى الأمير المجاهد مع الله، ثم أطلق هذا اللقي على ذرية يعقوب إلى حسن انفصال العشرة أسباط عن بيد داود"[6].

أما مصطلح الإسرائيليات، ومفردها إسرائيلية: وهي قصة أو حادثة تُروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام أبو الأسباط اثني عشر[7].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، ١١٧/٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٦) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسيرد. رمزي نعناعة، نشر وتوزيع دار القلم، دمشق، ودار الضياء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م، ص ٧٢، نقلًا عن: قاموس الكتاب المقدس، للدكتور جورج بوست، المجلد الأول، كلمة (إسرائيل).

(٧) ينظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مقدمة وهبة، القاهرة، د.ت، ص١٣.

وقيل: الإسرائيليات كلمة يهودية الأصل، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الإسلام، وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضًا؛ ولكنها خُصت بهذا الاسم؛ لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه إلى ذلك أولئك الإسرائيليون(١).

ويضيف الدكتور الذهبي: ولفظ الإسرائيليات، وإن كان يدل ظاهره على القصص الذي يروى أصلا عن مصادر يهودية، إلا أن علماء التفسير والحديث يطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدّوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام، صنعوها بخبث نية، وسوء طويّة، ثم دسوها على التفسير والحديث؛ ليفسدوا بها عقائد المسلمين، كقصة الغرانيق، وقصة زينب بنت جحش وزواج الرسول ﷺ منها(٢).

أما موقف الشيخ رحمه الله من الإسرائيليات، فقد امتثل فيه حديث رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرةَ رضى الله عنه قال: «كان أَهلُ الْكتابِ يقرؤون التوراةَ بِالْعبرانية ويفسرونها بِالْعربية لأَهلِ الإسلامِ فقال رسول اللّه ﷺ لا تصدقُوا أَهلَ الْكتابِ ولا تكذّبوهم وقُولُوا: ﴿آمنا بِاللّه وما أُنزِلَ إِلَينا﴾ الآيةَ(٣).

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾(٤)، قال: «وروي في بعض الأخبار أن إبليس دخل الجنة؛ وهو في الجنة، فسأل الطاؤوس عن الشجرة التي نهى الله آدم عليه السلام عنها فدلّه عليها، ثم أتى آدم عليه السلام وأقسم إنها الشجرة الخلد... القصة، إلى أن قال: غضب الله تعالى على الطاووس، وأهبطه بميسان، ومسح منه صوته ورجليه؛ ومثل هذه الأشياء لا تعلَم إلا من طريق الخبر فما صحت الرواية فيه قيل به، وما لم تصح رد، والله أعلم».

---

(١) ينظر: نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن، للدكتور السيد أحمد خليل، ص ٣٧.

(٢) ينظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، ص١٣ – ١٤.

(٣) صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر؛ لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة / بيروت، ط٣ /١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ٤/١٦٣٠، رقم (٤٢١٥)، من كتاب التفسير، باب: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]، قال: «روي أنهم وجدوا بقرة على هذه الصفة عند رجل بارٍ بوالدته، كان يصلي ثلث الليل، وينام ثلث الليل، ويجلس ثلث الليل عند رأس أمه يقول لها: إن لم تقدري على القيام فسبحي الله تعالى وهلّلي، وكانت بقية بقر كانت لآبائه لم يبق منهن غيرها، فلما سألوه أن يبيعهم إياها للذّبح، أبى عليهم، فرفعوا في الثمن، حتى أعطوه ملءَ مسكها ذَهبا، فباعها لهم فذبحوها[2].

وعن وهب بن منبه: أن ملَكاً جاء صاحب البقرة، فقال: لا تبعها إلا بملءِ مسكها ذهبا. وفي بعض الروايات: أن هذه البقرة كانت لرجلٍ يبيع الجواهر، فجاءه إبليس يوما من الأيام بجراب من اللؤلؤ يساوي مائتي ألف، فعرض عليه بمائة ألف، فلما اتفق العقد، وجد الجوهري مفتاح الصندوق تحت رأس أبيه وهو نائم، فذهب ليوقظه؛ ليرفع المفتاح، ثم قال في نفسه: كيف أوقظ أبي لربح مائة ألف، فرجع فقال: إن أبي نائم، ثم قال: اذهب فأوقظه، فأني أبيعك بخمسين ألفاً، فذهب ليوقظه، فلم يحتمل قلبه حتى رجع، فلم يزلْ اللعين يحطُّ من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم، فلم يوقظ الرجل أباه، وترك ذلك الشراء، فجعل الله تعالى في ماله البركة، حتى اشتروا بقرته بملءِ مسكها ذهبا، والله أعلم[3].

(1) سورة البقرة، الآية: ٧١.

(2) انظر: تفسير الطبري، جامع البيان ١١٤/٢، وتفسير البغوي ١٠٨/١.

(3) انظر: تفسير السمرقندي، بحر العلوم، ٦٤/١.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

١- مكانة الإمام القاضي أبو الفتح الغزنوي الكبيرة، فقد حاز كثير من العلوم، كالتفسير، واللغة، والأدب وغيرها.

٢- إن تفسير الإمام أبو الفتح الغزنوي من أجل كتب التفسير، وأعظمها قدرًا ومنزلة، وهو مما لا يستغنى عنه بحال.

٣- أن منهج الإمام أبو الفتح الغزنوي من أعظم المناهج، حيث اعتمد في تفسيره على القرآن والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين.

٤- إن اعتماد أبو الفتح الغزنوي على التفسير اللغوي يضيف التفسير معنى وجمالا، وهو ما لم يغفله الإمام في تفسيره.

٥- أن موقف الشيخ رحمه الله من الإسرائيليات، قد امتثل فيه حديث رسول الله ﷺ: «كان أَهلُ الْكتابِ يقرؤون التوراةَ بِالْعبرانيةِ ويفسرونها بِالْعربِيةِ لأَهلِ الإسلامِ فقال رسول اللّه ﷺ لا تصدقُوا أَهلَ الْكتابِ ولا تكذِّبوهم».

وأخيراً.. أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأسأله تعالى أن يتجاوز عن ما وقع فيه من خللي أو زلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المراجع والمصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م

٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٤- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

٥- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٧- تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.

٨- تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) ؛ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي ، دار الفكر– بيروت، ١٤٠١هـ .

٩- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا مزايا القرآن الكريم) ؛ لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

١٠- تفسير الآلوسي المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)؛ لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

١١- تفسير البغوي المسمى (معام التنزيل) ؛ لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفَراء البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة– بيروت .

١٢- تفسير الرازي المسمى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)؛ لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١/١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

١٣- تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) ؛ لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: د . محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت .

١٤- تفسير الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٥- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
١٦- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
١٧- تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)؛ لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتاب العربي- بيروت - لبنان .
١٨- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١٩٩٥م، ط٦، مكتبة وهبة : القاهرة.
١٩- صحيح الإمام البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ طبعة المكتبة الإسلامية - اسطنبول تركيا ١٩٨١ م.
٢٠- صحيح مسلم بشرح النووي للإمام يحي بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦ هـ المطبعة المصرية ومكتبتها.
٢١- معاني القراءات؛ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار الكتب العلمية، ط١/١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٢- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٣- مناهج المفسرين، منيع عبد الحليم محمود، ط١، ١٩٧٨م، دار الكتاب المصري: القاهرة.
٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.